

## كتاب "العبرة مما جاء في الغزوة والشهادة والهجرة" للنواب صديق

حسن خان القنوجي

د. مفتي محمد شرف عالم<sup>١</sup>

### الملخص

يعد النواب صديق حسن خان القنوجي أحد أبرز العلماء الذين أسهموا في إثراء التراث الإسلامي بمؤلفات متعددة اللغات، شملت العربية والفارسية والأردية. حاز كتابه "العبرة مما جاء في الغزوة والشهادة والهجرة" على اهتمام الباحثين بفضل منهجه المتميز الذي يجمع بين التحليل الفقهي والسياق التاريخي. تناول هذا الكتاب موضوعات الجهاد والشهادة والهجرة وفق نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية، مع استشهادات موسعة من أبرز مصادر السيرة. يستعرض هذا البحث الكتاب في إطار وصفي، مبيّنًا محاوره الرئيسية وأساليبه المنهجية، ومسلطًا الضوء على شخصية المؤلف ومكانته العلمية الفريدة.

**الكلمات المفتاحية:** صديق حسن خان القنوجي، الجهاد والشهادة، السيرة النبوية، التراث الإسلامي.

أنجبت الهند عددًا كبيرًا من العلماء العباقره الذين أثروا في مسار التاريخ، وأسهموا في مجال التأليف والتحقيق على الصعيدين المحلي والعالمي، وتقديرهم من قِبَل علماء العرب. من بين هؤلاء العلماء النواب صديق حسن خان القنوجي، الذي يُعدّ من أشهر أرباب العلم والأدب في الهند. وقد حظيت مؤلفاته بالقبول، وترك بصمات خالدة في التراث الإسلامي باللغة العربية والفارسية والأردية، وأغنى المكتبات

١ د. الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، جامعة مولانا آزاد المفتوحة، حيدر آباد، الهند.

.Mobile:9705610569. Email Id: dmsharfealam@gmail.com

الهندية والعالمية بأعماله القيّمة. يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على كتاب "العبرة مما جاء في الغزوة والشهادة والهجرة" من خلال ثلاثة محاور. يتناول المحور الأول شخصية النواب صديق حسن خان القنوجي، والمحور الثاني المصادر الأساسية للسيرة النبوية، بينما يركز المحور الثالث على النقاط الهامة في الكتاب.

### المحور الأول

تعدّ شخصية النواب صديق حسن خان القنوجي من أبرز الشخصيات الإسلامية التي حظيت بشهرة واسعة على المستويين الوطني والعالمي. امتازت شخصيته بالنجابة، والشرف، والفضائل الأخلاقية، والقيم الدينية والإيمانية، ما جعله يُعرف كعالم رباني، ومفسر نابغ، وداعية كبير. أسهم بجهوده في إحياء الحكم الإسلامي وتعزيز العلم، حيث كانت حياته حافلة بالنشاطات الدينية والحركات العلمية. وتميزت شخصيته بالتعددية في الجوانب، إذ جمع بين دولتين: دولة العلم ودولة الحكم، وأدار دفتيهما بدقة وحكمة. حكم بعدل طبقاً للتشريع الإسلامي، مما أسهم في انتشار الأمن والعدل، واستقرار المجتمع. كذلك، سعى إلى تعزيز العلم من خلال تأسيس المدارس، وعمارة المساجد، ودعوة كبار الأساتذة والعلماء من مختلف أنحاء الهند واليمن والبلاد الإسلامية للإمارة من أجل التعليم والإرشاد.

### نشأته وحياته

وُلد النواب صديق حسن بن أولاد حسن بن أولاد علي الحسيني البخاري القنوجي البوفالي يوم الأحد، التاسع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ هـ، في بلدة بانس بريلي، موطن جده لأمه المفتي محمد عوض العثماني البريلوي. بعد ولادته، انتقل مع والدته إلى قنّوج، موطن آبائه، وعندما بلغ السادسة من عمره توفي والده، ليصبح يتيمًا فقيرًا تحت رعاية والدته.

تولى شقيقه أحمد حسن بن أولاد حسن الإشراف على تعليمه وثقافته، فبدأ مسيرته العلمية في سن مبكرة، وقرأ بعض أجزاء القرآن الكريم، ومبادئ اللغة

الفارسية، ومختصرات الصرف والنحو والبلاغة والمنطق على يد شقيقه. ثم أقام شهوياً في مدينتي فرخ آباد وكانفور، حيث تعلم المزيد من النحو والمنطق والفقه والحديث على يد أساتذتهما، إلا أن تعليمه كان غير منتظم.

في سنة ١٢٦٩ هـ، سافر إلى دلهي، حيث اهتم به المفتي صدر الدين، أحد كبار العلماء في دلهي، وأنزله في بيت نواب مصطفى خان الذي كان ملتقى للعلماء والشعراء والوجهاء من مختلف الطبقات. في هذا المكان، استفاد من صحبتهم وتعمق في العلوم والآداب، وقرأ على المفتي صدر الدين كتباً بشكل منتظم، وحصل منه على إجازة خاصة وشهادة بالتحصيل.

لاحقاً، انتقل إلى مدينة بوفال طلباً للرزق، فولاه الوزير جمال الدين الدهلوي تعليم أسباطه. في سنة ١٢٨٥ هـ، توجه لأداء فريضة الحج، حيث انتسخ هناك بعض الكتب وقرأ كتب السنة على كبار المحدثين في اليمن. بعد عودته إلى بوفال، تولى نظارة المعارف سنة ١٢٨٦ هـ، ثم تولى نظارة ديوان الإنشاء في أوائل شعبان سنة ١٢٨٧ هـ، وحصل على لقب "خان". تزوج ملكة بوفال وأسندت إليه مهام واسعة، وحاز على لقب "نواب" ومنح حق التعظيم في مختلف أرجاء الهند.

اهتمته الحكومة البريطانية بالتحريض ضدها، فانتزعت منه ألقاب الإمارة. وافته المنية ليلة التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٧ هـ بعد معاناة مع مرض الاستسقاء.

### مؤلفاته

كان النواب صديق حسن خان من مفاخر الأمة ونواب العصر، حيث وهبه الله مواهب متعددة فجمع بين تفسير القرآن والعلم الواسع، وتميز بالحس المرهف والبصيرة الشفافة. بلغ عدد مؤلفاته في اللغات العربية والفارسية والأردية ٢٢٢ كتاباً، وقد انتشرت كتبه في أرجاء العالم الإسلامي والبلاد العربية.

تنوعت مؤلفاته في مجالات العلوم الإسلامية المختلفة، خاصة العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وعقائد، إلى جانب الأدب واللغة وغيرها. وأشار الدكتور عبد

الحكيم شرف الدين، مصحح كتاب *التاج المكلل*، إلى أن عدد مؤلفاته بلغ ٢٠٤، منها ٥٤ بالعربية، و٤٢ بالفارسية، و١٠٧ بالأردية<sup>١</sup>. وفي كتاب *قرة الأعيان*، ذكر أن مؤلفاته بلغت نحو ١٠٠ كتاب بين المطولات والمختصرات<sup>٢</sup>، أما في *معجم المطبوعات* للمؤلف يوسف البان سركيس، فقد ذكر أن عددها ٢٢٢ مصنفاً. تميزت كتبه بارتباطها بالحديث والقرآن، وكانت نافعة ومقبولة على نطاق واسع.

### المحور الثاني (مصادر شهيرة لدراسة السيرة)

توجد العديد من المصادر التي تناولت سيرة النبي ﷺ بطرق متنوعة، وتعد من أبرزها القرآن الكريم، وكتب السنة النبوية، وكتب السير والمغازي، بالإضافة إلى ما وصلنا من كلام العرب من عهد الرسول ﷺ.

تناول القرآن الكريم سيرة الرسول ﷺ في كثير من سورته وآياته، حيث عرض لمواقفه مع الكفار، ودعوته لهم، وردود أفعالهم تجاهه. كما شكلت كتب الحديث مصدراً هاماً لدراسة السيرة، خاصة ما اختص بالصحيح منها كصحيح البخاري ومسلم، وكذلك كتب الحديث المعروفة كمؤطا الإمام مالك، والكتب الستة، وسنن الدارمي، ومستدرك الحاكم، ومعجم الطبراني وكتب المغازي، والتي تميزت بأبواب تتعلق بالسيرة مثل بدء الوحي، والمناقب، والغزوات وغيرها.

أما كتب المغازي، فأول من ألف عن مغازي رسول الله ﷺ هو الإمام الكبير محمد بن إسحاق المتوفى عام ١٥٠ هـ، وقد وصفه الشافعي بأنه "كل من تبحر في المغازي فهم عيال على محمد بن إسحاق"<sup>٣</sup>. ومن الكتب التي اهتمت بالمغازي أيضاً

١ نزهة الخواطر، ٨/ ١٩٠: التاج المكلل، ص ٥٤٢.

٢ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة الترقى، دمشق، ٩٠/ ١٠.

٣ عبد الشافي محمد عبد اللطيف، أوائل المؤلفين في السيرة النبوية، المكتبة الشاملة، ص ٤٠.

كتاب *المغازي النبوية* لابن سعد صاحب *الطبقات الكبرى* المتوفى عام ٢٣٠ هـ، وكتاب *المغازي* لأبي عبد الله محمد بن عائذ الدمشقي المتوفى عام ٢٣٣ هـ.

### كتب جامعة لجوانب السيرة

هناك بعض كتب السيرة التي جمعت بين موضوعين أو أكثر، ومنها ما تناول السيرة النبوية بشكل شامل، مسجلة حياة النبي ﷺ من ولادته إلى وفاته. من أبرز هذه الكتب *سيرة ابن هشام* لمحمد بن عبد الملك بن هشام الحميري المتوفى عام ٢١٨ هـ، الذي يعتبر ملخصاً جيداً لسيرة ابن إسحاق مع تهذيب وإضافات مهمة، ويعد من أقدم وأشمل ما دُون في السيرة.

ومن الكتب الأخرى التي تناولت جوانب السيرة كتاب *الروض الأنف للإمام السهيلي* المتوفى عام ٥٨١ هـ، و*السيرة النبوية* لابن كثير المتوفى عام ٧٧٤ هـ، و*جوامع السيرة* لابن حزم الأندلسي المتوفى عام ٤٥٦ هـ، و*شرح المواهب اللدنية للإمام الزرقاني* المتوفى عام ٨٥١ هـ، و*إنسان العيون في سيرة الأئمة المأمون*، المعروف بـ "السيرة الحلبية"، لعلي بن إبراهيم الحلبي المتوفى عام ١٠٤٤ هـ، و*تاريخ الطبري* لمحمد بن جرير الطبري المتوفى عام ٣١٦ هـ. كما كان من الكتب المؤثرة كتاب *المغازي* أو *مغازي الواقدي* لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي، و*الطبقات الكبرى* لابن سعد المتوفى عام ٢٣٠ هـ، والذي يتألف من اثني عشر مجلداً، وقد اعتمد عليه الواقدي في كتابه عن السيرة، إضافةً إلى *زاد المعاد في هدي خير العباد* لابن قيم الجوزية المتوفى عام ٧٥١ هـ.

هناك الكثير من المؤلفات الأخرى في السيرة، والتي تعتمد في الغالب على المصادر المذكورة، وقد بلغت الكتب المؤلفة في السيرة عدداً لا يمكن حصره أو عده.

### المحور الثالث

قد تكون الكتابة متأثرة كما تكون مؤثرة، وقد تؤثر في محيطها أو تستقي من محيطها أحياناً. في كتابات النواب صديق حسن خان القنوجي، يظهر تأثيره بكتابات

السلف، وقد انعكس هذا التأثير في أسلوبه وموضوعاته.

### كتابه "العبرة مما جاء في الغزوة والشهادة والهجرة"

يتألف هذا الكتاب من خمسة أبواب وخاتمة، كالتالي:

**الباب الأول:** يتضمن مقدمة المؤلف عن سبب التأليف، ويتناول عدة موضوعات، منها: ترتيب العساكر، ومعنى الجهاد لغةً واصطلاحًا، واستئذان الوالدين في الجهاد، ودور الجهاد في تكفير الذنوب، وطاعة الأمير في الجهاد، ووجوب الدعوة قبل القتال، وحكم النساء والأطفال والشيوخ في الجهاد، وحكم التمثيل بالأعداء والحرق بالنار، وحكم التبييت، وأحكام الغنائم، وخيارات الأسرى بين القتل أو الفداء، والاسترقاق، والأحكام المتعلقة بالجواسيس، واللبغا، والصبيان، ومسألة الأمان، والهدنة، وتعهد الضعفاء، وشروط الإمامة والخلافة، وتحقيق مفهوم الولاية وأهداف الإمامة ووصف السلطان.

**الباب الثاني:** يتناول الترغيب والترهيب في آيات القرآن الكريم، ويتضمن قصيدة في الجهاد وذكر الجنة كموطن للشهداء.

**الباب الثالث:** يتناول أحكام الجهاد كما وردت في القرآن الكريم، ويبحث في موضوع الكراهة في الجهاد، ويؤكد عدم وجوب الجهاد على الجميع، وأحكام الجزية، والجهاد ضد الكفار والمنافقين، وحكم الضعفاء والمرضى، والدعوة إلى الصلح.

**الباب الرابع:** يختص بالأحاديث النبوية، حيث يتحدث عن فضل الغزو والجهاد والشهادة، وأهمية الإنفاق في الجهاد، وتربية الخيل للجهاد، ويفصل بين شهيد البر والبحر، ويعرض فضل الشهداء، وهدف الجهاد، وأحكام الغزو.

**الباب الخامس:** يركز على الشهادة الصغرى وأسبابها، ومعنى الشهادة وحكم الشهيد، وأسباب الشهادة الصغرى، وأبيات شعرية عن الشهداء، وتناول روايات الشهادة الصغرى، مع أبيات من نظم المؤلف في الختام.

خاتمة الكتاب: تتناول الهجرة وحكمها، وتختتم بخاتمة من تأليف ولد المؤلف.

## نبذة عن الكتاب وأسلوبه

كتب النواب صديق حسن خان القنوجي بأسلوب سهل، تأثر فيه بأسلوب الجمع والشرح الذي تميز به علماء القرن التاسع حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري. امتاز أسلوبه بالحفاظ على طابع التقليد العلمي مع السعي إلى إحياء التراث القديم، وكان قريباً من أسلوب الأستاذ الشوكاني، القاضي اليمني صاحب *نيل الأوطار*. اعتمد القنوجي على جمع النصوص واستنباط المسائل منها مجتهداً بآرائه، ولم يقتصر على التقليد، ربما لكونه واسع الاطلاع على علوم ومعارف عصره. كتب مؤلفاته بمنهجية اجتهادية مبتعداً عن التبعية التامة للمؤلفات التقليدية.

## مصادر الكتاب

اقتدى النواب صديق حسن خان القنوجي في تأليف *العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة* بأسلوب الأستاذ الشوكاني، صاحب *نيل الأوطار*، والشيخ جلال الدين السيوطي، كما تأثر كثيراً بالشاه ولي الله المحدث الدهلوي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، وأصحاب الصحاح الستة وغيرهم. وقد استفاد القنوجي في تأليفه من أهم المصادر، مثل *سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني*، المعروف بابن ماجه الربيعي، المتوفى عام ٢٧٣هـ، وأشار كارل بروكلمان<sup>١</sup> إلى اهتمامه بكتب السنن عامة، ولم يذكر له سوى هذا الكتاب في هذا المجال.

أشار القنوجي إلى رسائل مهمة حول الجهاد ضمن كتابه، مما أضاف للكتاب قيمة كبيرة، وأصبح مرجعاً مهماً للباحثين في هذا المجال. فيما يلي أهم المصادر التي استفاد منها القنوجي:

سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المتوفى عام ٢٧٣هـ، ويعد هذا الكتاب من أهم كتب الحديث، وقد أشار ابن حجر العسقلاني إلى أنه "جامع

١ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٤/ ١٩٨.

جيد، كثير الأبواب والغرائب، وفيه أحاديث ضعيفة جداً<sup>١</sup>، كما أشار ابن كثير إلى كتاب له في التفسير<sup>٢</sup>.

صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، المتوفى عام ٢٦١ هـ، الذي يعد إمام أهل الحديث وصنّف كتباً عديدة، منها الكتاب المسند الكبير والجامع الكبير، وكتاب العلل، وكتاب أوامم المحدثين، وكتاب التمييز، وكتاب من ليس له إلا راو واحد، وكتاب طبقات التابعين، وكتاب المخضرمين، وغيرها من الكتب. شرح صحيح مسلم للإمام النووي، واسمه الكامل شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحواري الشافعي، المتوفى عام ٦٧٦ هـ، ومن تصانيفه الشهيرة: رياض الصالحين، والأذكار، والأربعين، والإرشاد في علوم الحديث، والتقريب، والمبهمات، وتحريّر الألفاظ للتنبيه، والعمدة في تصحيح التنبيه، والإيضاح في المناسك، والتبيان في آداب حملة القرآن، والفتاوى، والروضة، والتي تشمل أربعة أسفار، وغيرها من المؤلفات.

سنن النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي، المتوفى عام ٣٠٣ هـ.

مسند الإمام أحمد لشيخ الإسلام أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الذهلي الشيباني المروزي البغدادي، المتوفى عام ٢٤١ هـ. كتب الإمام جلال الدين السيوطي، المتوفى عام ٩١١ هـ، الذي بلغ عدد مؤلفاته ما يزيد عن ٥٠٠ كتاب في مجالات التفسير، الحديث، القراءات، الفقه، النحو، الأصول، الأدب، الطب، وغيرها. وتعد أعماله الشاملة دليلاً على علمه الواسع وسعة معارفه وحسن تفكيره وعمق أبحاثه، وهي تبرهن على مكانته العلمية الرفيعة.

١ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٣٤٠.

٢ ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، طبع في مصر، سنة ١٣٥٨ هـ، ٥٢/١١.

## نماذج الكتاب

بدأ النواب صديق حسن خان القنوجي كتابه بحمد الله والصلاة على رسوله ﷺ، ثم قال: "وبعد! فقد طالما توارت الدنيا بجوائب<sup>١</sup> ما جرى في هذه الأزمان بين أقطار السلطنة العثمانية<sup>٢</sup> وأمصار الدولة الروسية، وما قيل ويقال عن ذلك. فقد بلبل<sup>٣</sup> هذا الأمر بال كل ذي بال، وتحمس مسلمو الأرض لنصرة حضرة السلطان ودعمه بالمال والنفس واللسان، حتى صار الانتصار والانتصاف حديث القاصي والداني، ودوّن أهل الأخبار كل خبر وأرسلوه إلى أهل المروءة والأخلاق، وما حلّ من البلايا والرزايا في قتال أهل الجبل الأسود، وبلغار<sup>٤</sup>، وصربيا، مما كشف لكل مسلم عظمة هذا الصراع".

يستمر النص من الصفحة الأولى إلى السابعة، حيث يذكر في الصفحة السادسة تنظيم الكتاب قائلاً: "خطر في ذهن المضطرّ ترتيب هذا المختصر على مقدمة تتناول بيان علم الجهاد والغزو ومعناه لغةً وشرعاً، وأحكامه، يليها خمسة أبواب تتعلق بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية الواردة في فضائل الغزو والشهادة وفضلها. وتأتي خاتمة تبين حكم الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وما ورد عن أهل العلم في هذا الباب، إلى جانب مسائل أخرى تتوافق مع هذا الكتاب".

ثم قدم مقدمة في بيان علم الجهاد وأحكام الغزو ومعناها لغةً وشرعاً، حيث استهل بشرح كلمة الجهاد قائلاً: "الجهاد علم تُعرف به أحوال الحروب، وكيفية

١ المنجد، تعريف "جائبة" بمعنى الطارئ أو الشائع.

٢ "العثمانية" تنسب إلى سلالة بني عثمان، حيث كان المؤلف صديق حسن خان وزوجته الملكة نواب شاه جهان بيغم على علاقة ودية مع السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م).

٣ المنجد، تعريف "بلبل بلبلة ولبلالاً" بمعنى الهيجان وتفرقة الآراء.

٤ "بلغاريا"، دولة في البلقان تحت الحكم العثماني منذ القرن ١٣ حتى معاهدة برلين سنة ١٨٧٨م؛ قاموس الأعلام، ص ٨٣.

تنظيم العساكر والجنود، واستعمال الأسلحة، ونحو ذلك. وهو أحد أبواب الفقه الذي تُذكر فيه الأحكام الشرعية للجهاد. وقد بين العلماء أحواله وقواعده في كتب مستقلة، لكنه لم يُذكر ضمن المواضيع الشرعية بلفظ علم الجهاد، بل أُدرج ضمن علوم أخرى كعلم ترتيب العسكر، وعلم آلات الحرب ونحو ذلك<sup>١</sup>.

### نموذج أول

وضّح النواب صديق حسن خان القنوجي مفهوم كلمة الجهاد، ناقلًا عن الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح البخاري<sup>٢</sup>: "الجهاد بكسر الجيم أصله لغة المشقة؛ يقال: جهدتُ جهادًا، أي بلغتُ المشقة. وشرعًا، يعني بذل الجهد في قتال الكفار، ويُطلق أيضًا على مجاهدة النفس والشيطان والفُسّاق". ثم قام بتفصيل كل نوع من أنواع الجهاد الثلاثة:

مجاهدة النفس<sup>٣</sup>: تُعنى بمعرفة أمور الدين، وتعلمها، ثم العمل بها، وتعليمها. عبّر عنها بقوله: "فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ثم العمل بها ثم تعليمها".

مجاهدة الشيطان: تعني دفع الشهوات والشبهات التي يأتي بها الشيطان، وبيّنها

١ اقتبس المؤلف التعريف من كشف الظنون ١/، وراجع معجم المصنفين لمحمود الحسن خان الطوكي، ٢٦٦/١ (بيروت، ١٣٤٤ هـ)، ودستور العلماء لعبد النبي عبد الرسول الأحمد نجري الهندي، ٤٨٧/١ (الطبعة الثانية، دائرة المعارف العثمانية). وابن حجر في فتح الباري، والشوكاني في نيل الأوطار ٢٥/٨ (ط. مصر، ١٣٤٤ هـ).

٢ راجع فتح الباري في شرح البخاري، كتاب الجهاد والسير، ٢/٦، ولم نجد النص المنسوب إلى ابن حجر هناك، بل وجدناه في شرح الزرقاني لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣/٣. انظر أيضًا عون المعبود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١١١/٧.

٣ راجع عون المعبود، ١١١/٧.

بوضوح بقوله: "وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يُزينه من الشهوات".

**مجاهدة الكفار:** أوضح أنها تُمارس باستخدام اليد والمال والقلب واللسان حسب القدرة، قائلاً: "وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد وبالمال وبالقلب وباللسان".  
**مجاهدة الفُسّاق:** تتضمن الإنكار باليد أو اللسان، وإن لم يستطع فالإنكار بالقلب، مشيراً إلى أن هذا أضعف درجات الإيمان، وعبر عنها بقوله: "وأما مجاهدة الفُسّاق فباليد ثم اللسان ثم القلب".

### نموذج ثان

ذكر النواب صديق حسن خان القنوجي أن الجهاد سبب لتكفير الذنوب، مشيراً إلى أهمية إخلاص النية لتحقيق هذه الفائدة. وقال: "الجهاد مع إخلاص النية يكفر الخطايا، إلا الدين؛ ويلحق بالدين كل حقوق الناس، دون تفرقة بين دمٍ أو عرضٍ أو مال<sup>١</sup>"، ثم ناقش مسألة الاستعانة بالمشركين في الجهاد، مبيّناً أن ذلك لا يجوز إلا عند الضرورة<sup>٢</sup>

### نموذج ثالث

ناقش النواب صديق حسن خان القنوجي في الباب الأول من كتابه أحكام النساء والأطفال والشيوخ في الجهاد، فبيّن الأحكام المتعلقة بهم قائلاً: "يُحرم قتل النساء والأطفال والشيوخ إلا إذا قاتلوا، فيدفعون بالقتل للضرورة<sup>٣</sup>". وقد وقع

١ راجع نيل الأوطار للشوكاني، ٣٦-٣٢/٨.

٢ كما رُوي عن الزهري أن النبي ﷺ استعان ببعض اليهود في خيبر وأعطاهم سهماً من الغنائم (رواه أبو داود في مراسيله)؛ راجع نيل الأوطار، ٤٣/٨.

٣ وقال الشافعي والأحناف: إذا قاتلت المرأة جاز قتلها، بينما يرى ابن حبيب من المالكية أنه لا يجوز قصد قتلها إلا إذا باشرت القتال أو قصدت إليه، مستدلاً برواية أبي داود في المراسيل عن عكرمة. راجع نيل الأوطار، ٧٣/٨.

الاتفاق<sup>١</sup> على منع قتلهم إلا إذا تترس بهم المقاتلون أو إذا شاركوا في القتال<sup>٢</sup>. "وأورد قول الشافعي في هذا السياق: "النهي عن قتل النساء والأطفال هو في حال التمييز، أما في حالة البيات<sup>٣</sup> فيجوز حتى وإن شمل ذرايعهم ونساءهم".

ثم انتقل إلى الباب الثاني: *ما جاء من الآيات في الترغيب والترهيب*، وذكر فيه قصيدة عن الجهاد والجنة، وبين أن الجنة هي موطن الشهداء ومسكن الغزاة الصالحين، ومأوى المجاهدين والمقربين. وأكد على فضل الغزاة والشهداء في الآيات الكريمة والأحاديث النبوية.

أما الباب الثالث: *ما جاء في أحكام الجهاد من القرآن*، فقد تضمن فصولاً متنوعة، ومنها حكم الضعفاء والمرضى في الجهاد، حيث قال الله تعالى: "لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ" (التوبة: ٩١). واستنبط أن الجهاد يسقط عن هؤلاء عند وجود الأعذار<sup>٤</sup>، بشرط عدم إعاقة الأعداء. وأورد قوله تعالى: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" (البقرة: ٢٨٦)، وقوله تعالى: "لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ" (الفتح: ١٧)، وأضاف أن إسقاط التكليف عن هؤلاء لا يعني حرمانهم من ثواب الجهاد إذا عذرهم الله، موضحاً أن المرض الذي يسقط فرض الجهاد هو المرض الذي لا يقدر معه على القتال، أما المرض الخفيف فلا يسقط

١ ويرجع هذا القول إلى الإمام مالك والأوزاعي، كما في نيل الأوطار، ٧٣/٨.

٢ حتى لو تترس أهل الحرب بالنساء والصبيان، لم يجز رميهم أو تحريقهم: انظر نيل الأوطار، ٧٣/٨، وفتح الباري، المكتبة السلفية، ١٤٧/٦.

٣ في فتح الباري، ١٤٧/٦: المقصود بالبيات في الحديث هو الإغارة على الكفار ليلاً دون تمييز بينهم.

٤ في صفوة التفاسير، ٣٨٠/١: سقط الجهاد عن الشيوخ والمرضى والعاجزين والفقراء، بشرط إخلاص الإيمان والعمل الصالح. راجع أيضاً التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧ م، ٨٣/٢.

الفرض.

ثم تناول الباب الرابع: **ما جاء في الأحاديث النبوية في فضل الغزو والجهاد والشهادة**. أورد حديث عثمان بن عفان عن النبي ﷺ: "من رباط في سبيل الله سبحانه كانت كآلف ليلة صيامها وقيامها" (رواه ابن ماجه<sup>١</sup>)، وحديث أبي بن كعب: "لرباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسباً من غير شهر رمضان أعظم أجراً من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها.."<sup>٢</sup> وتابع ذكر الأحاديث التي تبرز فضل الرباط، مثل حديث أنس بن مالك: "حرس ليلة في سبيل الله أفضل من صيام رجل وقيامه في أهله ألف سنة.."<sup>٣</sup> (رواه ابن ماجه<sup>٤</sup>).

وفي فصل آخر من الباب، ذكر فضل الشهداء، مثل حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: "لا تجف الأرض من دم الشهداء حتى تبتدره زوجته كأنهما طيران أضلنا فصليهما.."<sup>٥</sup> وروى حديث جابر بن عبد الله حين قال: "يا جابر، ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك؟ ... قال: يا رب، أحييني فأقتل فيك ثانية.. فأنزل الله تعالى: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً"<sup>٦</sup> (آل عمران: ١٦٩).

ثم تناول الباب الخامس: **ما جاء في أحكام الغزو من الأحاديث النبوية**، وسرد رواية عائشة رضي الله عنها: "قلت: يا رسول الله! على النساء جهاد؟ قال: نعم، جهاد

١ سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمود محمد حسن نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ٣/٣٤٩.

٢ سنن ابن ماجه، ٣/٣٤٨، إسناده ضعيف؛ الترغيب والترهيب، باب الرباط، تحفة الأشراف، رقم ٧٥.

٣ سنن ابن ماجه، ٣/٣٥٣، عن أبي الدرداء؛ إسناده ضعيف.

٤ أخرج الحاكم عن عائشة رضي الله عنها؛ الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي، ط. مصر، ٩٥/٢؛ سنن ابن ماجه، ٣/٣٦٤.

لا قتال فيه: الحج والعمرة<sup>١</sup> (رواه ابن ماجه). وذكر أيضًا رواية الربيع بنت معوذ رضي الله عنها: "كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة" (رواه البخاري<sup>٢</sup>).

وفي فصل آخر، تناول الأحاديث الواردة في أسباب الشهادة الصغرى، ومنها حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: "الشهداء خمسة: المبطون، والمطعون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله" (رواه البخاري ومسلم<sup>٣</sup>).

واختتم خاتمة الكتاب بالحديث عن الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، واستشهد بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"<sup>٤</sup> (متفق عليه)، مشيرًا إلى إجماع الأئمة على أهمية هذا الحديث.

### الخاتمة

في ختام هذه الدراسة، يظهر كتاب "العبرة مما جاء في الغزوة والشهادة والهجرة" كعمل فريد يجمع بين الجوانب الفقهية والتاريخية بأسلوب متكامل. يعكس الكتاب منهجًا علميًا رصينًا يقوم على جمع النصوص من القرآن والسنة وتحليلها في سياقها الشرعي والتاريخي، مستفيدًا من مصادر السيرة والمغازي وكتب الحديث. يبرز الكتاب

---

١ فتح الباري في شرح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية، ٩٤/٦، باب جهاد النساء، رقم ٦٢ (٢٨٧٥).

٢ فتح الباري ٩٩\٦.

٣ البخاري، كتاب الجهاد، رقم ٣٠؛ مسلم، كتاب الإمامة، ٥٤/١٣، رقم ١٦٥؛ الترمذي، كتاب الجنائز، رقم ٦٥؛ الموطأ، باب الجماعة، رقم ٦.

٤ البخاري، ٣/١؛ البيهقي، ٤١/١، ٢١٥/١، ٢١٥/٢، ١٤/٢؛ ابن ماجه، ١٤١٣/٢؛ أبو داود، ٢٦٢/٢، وغيرها.

قدرة النواب صديق حسن خان القنوجي على توظيف معرفته الواسعة لترسيخ مفاهيم الجهاد والشهادة والهجرة، وفق رؤية تجمع بين الأصالة والابتكار. أسلوبه المتميز في استعراض الموضوعات يعكس حرصه على توضيح المسائل بأسلوب يجمع بين الدقة والوضوح، مما يجعل الكتاب مرجعاً قيماً للباحثين في العلوم الإسلامية.

### المصادر والمراجع

- ابن حجر العسقلاني. تهذيب التهذيب. دار الفكر.
- ابن حجر العسقلاني. فتح الباري في شرح البخاري. المكتبة السلفية.
- ابن كثير. البداية والنهاية في التاريخ. مصر، ١٣٥٨ هـ.
- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجه. تحقيق محمود نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ م.
- البخاري. صحيح البخاري. المكتبة السلفية.
- التاج المكلل. صديق حسن خان.
- التسهيل لعلوم التنزيل. محمد بن أحمد بن جزي الكلبي أبو القاسم. دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧ م.
- جلال الدين السيوطي. الدر المنثور في التفسير المأثور. مصر.
- حادي الأرواح في بلاد الأفراح. محمد بن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩ م.
- دائرة المعارف. دائرة المعارف العثمانية، الهند.
- عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نجري. دستور العلماء. دائرة المعارف، الهند، ١٩٥٨ م.
- عبد الشافي محمد عبد اللطيف. أوائل المؤلفين في السيرة النبوية. المكتبة الشاملة.
- قاموس الأعلام.
- كتاب الجهاد والسير. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية.
- نزهة الخواطر.